الدرس ٥ : الاستلزام الحواري في الدرس التداولي تنظير وتطبيق

Conversational implication in pragmatic study ;Théory and practice

الدكتور باديس لهويمل، قسم الآداب واللغة العربية جامعة محمد خيضر-بسكرة ،

أصل الدرس والمحاضرة مقال نشرناه في مجلة جسور المعرفة (مجلة علمية مصنفة في الربتة C، بجامعة الشلف العدد:4 المجلد 5 ، 12/12/2019

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز أهمية الاستلزام الحواري في الدرس التداولي، وذلك من خلال التأكيد على أنه جزء لا يتجزأ من معنى الكلام، إذ لا أحد يمكنه أن يتكلم دون أن يكون لكلامه معنى مستلزما.

كما يحاول المقال تقديم نماذج تركيبية من الخطاب اليومي ومن القرآن الكريم لتوضيح كيفية حدوث الظاهرة والاستدلال عليها.

الكلمات المفتاحية: الاستلزام حواري; التداولية; المضمر;مبدأ التعاون ; الغموض.

Abstract:

the article aims at highlighting the importance of Conversational implication in the pragmatic lesson, by emphasizing that it is an integral part of the meaning of speech،since no one can speak without the meaning of this words Implicatur .

in addition to that,this article attempts to present the synthetic models of daily discourse and the holy Quran as well as to explain how the phenomenon has occurred and to infer it.

key words: the Conversational implication; the pragmatics; the implicit; the Copérative Principale; obseurity

مقدمة

الاستلزام الحواي نوع من التواصل الضمني يتجاوز المعنى الحرفي للتراكيب إلى المعنى المتضمّن فيها وهو المعنى المقصود من المتكلّم، إنه قضية مهمة عُني بها أقطاب التداولية كثيرا لما تسهم به في ضبط المعنى وتحريكه، ولتوفرها في جل الخطابات تقريبا خاصة الخطاب اليومي الدارج على ألسنتنا.

يعدّ من أهم المفاهيم الإجرائية التّداولية، وألصقها بطبيعة النص التداولي، ويقوم على النظر إلى جُمل اللّغات الطبيعية بكونها تحمل في مقامات معيّنة،معنى ثان غير معناها الحرفي (محتواها القضوي)،مثال ذلك الحوار الآتي بين الأستاذين (أ)،و(ب):

- الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد للدّراسة في قسم التاريخ.
- الأستاذ (ب): إنّ الطالب (ج) ممثل كوميدي ممتاز.

نلاحظ أن الحمولة الدلالية للجملة الثانية تحمل معنيين اثنين في الوقت نفسه، معنى حرفيا يدل على كون الطالب(ج) ممثلا ممتازا على خشبة المسرح للتمثيل، ومعنى مستلزما يدرك من مقام الكلام يتمثل في كون الطالب (ج) غير مستعد لمتابعة دراسته في قسم التاريخ، وسمّيت هذه الظاهرة بالاستلزام الحواريConversationnelle implication. [(i)]

فجمل اللغات الطبيعية تحمل في بعض المقامات معان تتجاوز المحتوى القضوي لها ، فتتجاوزه إلى معنى ضمني يمثّل قصد المتكلم من الحوار.

ونظرية الاستلزام الحواري (التضمين التخاطبي) عني بها الفيلسوف الأمريكي "بول غرايس" Paul Grice، في مقال نشره سنة ١٩٧٥، بعنوان "المنطق والحوار" Logic and Conversation، قام فيه بتوصيف ظاهرة الاستلزام، وبيان الأسس المنهجيّة التي تقوم عليها، من خلال تطوير مفهوم الدلالة غير الطبيعية، وقد انطلق في بحثه من كون الناس قد يقولون في حواراتهم،ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، ليركّز في بحثه على إيضاح الاختلاف بين ما يقال، وما تم تبليغه، حيث أراد بول غريس P.Grice، تقديم وصف وإقامة مَعبَر بين ما يحمله القول من معنى صريح، و ما يحمله من معنى متضمّن، فوقف عند ظاهرة الاستلزام الحواري.[ii]

فللغة طرائقها وأساليبها في التّعبير عن مقاصد المتلفظين بها، ولكل حمولة دلالية فيها معنى صريح ومعنى ضمني قد يعدل إليه المتلفظ بالخطاب بحسب المقام، فيتولّد عن هذا الأخير معنى حرفي ومعنى مستلزم.

ويعرف الباحث طه عبد الرحمان الاستلزام الحواريّ بأنّه" عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل أنه شيء يعنيه المتكلّم، ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية".[iii]

ويرتدّ مصطلح الاستلزام الحواري(Implicatur Conversationne) في العرف التّداولي إلى كون «معنى جمل اللّغات الطبيعية إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر في ما تدل عليه صيغها الصورية من"استفهام" و"أمر" و"نهي" و"نداء" وإلى غير ذلك من الصّيغ المعتمدة في تصنيف الجمل»(iv) وإنّما يتجاوز ذلك إلى معان وأغراض تواصلية مستلزمة عنها، ذلك أنّ التّأويل الدّلالي لجمل اللّغات الطبيعية يصبح غير كاف إذا اعتمدنا فيه على معلومات صيغة الجملة وحدها، وهو ما حذا بـ"بول غرايس" إلى وضع مبدأ عام يخضع له كل المتحاورين سمّاه "مبدأ التعاون" واقترح أن يتم وصف ظاهرة الاستلزام الحواري من خلاله على أساس أنّ مصدر الاستلزام هو الخرق المتعمّد والمقصود لأحد القواعد الأربع التي يحكمها مبدأ التعاون.

ومن خلال هذه الآراء التي قدّمها بول غرايس في محاضراته التي كان يحلل فيها خصائص اللغات الطبيعية ويبحث في مميزاتها، توصّل إلى كون الاستلزام الحواري من خصائص هذه اللغات الطبيعية، فبحث فيه، ليصل إلى وضع جملة من المفاهيم الجديدة إضافة لمبدأ التعاون نعرضها بإيجاز في الآتي:

١-**مبدأ التعاون**(Copérative Principale):

تساءل "غرايس" –لأجل وصف ظاهرة الاستلزام الحواري- كيف يمكن أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ وكيف للمخاطب أن يسمع شيئا ويفهم شيئا آخر؟

فوصل إلى اقتراح قواعد تضبط كل حوار لغوي، ويحكمها مبدأ عام سمّاه "**مبدأ التعاون**"(Copérative Principale)، وقوام هذا المبدأ «ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار، الذي اشتركت فيه»[v]، ويقتضي هذا المبدأ أن يتعاون المتكلم والمتلقي لأجل إنجاح حوارهما وتحقيق الهدف المنشود الذي أنشئ الحوار لأجله سواء تمّ تحديد الهدف قبل الحوار أم أثناءه،

«فالممارسة اللغوية بحسب غريس نشاط عقلاني يهدف إلى التعاون بين المتخاطبين، لذلك لابد من افتراض توجهات أو قواعد صادرة من اعتبارات عقلية تدبّر السلوك التّخاطبي وتجعله ناجحا»[vi].وتسير هذه القواعد والتوجهات حسب غرايس بهدي من مبدأ التعاون، وهو مبدأ حواري يقوم على:- أن يجعل المخاطب مشاركته في الخطاب على النّحو الذي يتطلبه القصد من الخطاب والحوار، بمعنى أن يكون تدخّل المتكلّم في الحوار، مطابقا للغرض الذي يقتضيه من الحوار الذي دخل فيه، في مرحلة مشاركته.

أمّا عن القواعد التي تندرج تحت "مبدأ التّعاون" فنجد مقولات الكمّية، والكيفية والإضافة والجهة، ويسميها غرايس Grice "الحكم" Maxim، وتفصيلها كالآتي:[vii]

١- مبدأ الكم**Maxime de quantité** : تخص كمية المعلومات التي يجب توفيرها، وتؤدّى بالقاعدتين:

- اجعل مشاركتك تفيد على قدر ما هو مطلوب من أجل تحقيق أغراض التّخاطب الحاليّة.
- لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب.

٢-مبدأ الكيف **Maxime de qualité :** وتتعلق بالقاعدة العامة: "حاول أن تكون مشاركتك صادقة True وتتخصّص بقاعدتين هما:

- لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب.
- لا تقل ما تفتقر إلى دليل واضح عليه.

٣- مبدأ العلاقة أو الإضافة**Maxime de relation** : وتنفرد بقاعدة واحدة هي: اجعل مشاركتك ملائمة.

وتحمل هذه المقولة المُجملة كثيرا من المشاكل العويصة، كمعرفة طرق افتتاح الكلام وأنواع التدخّل المناسب، وتغيير موضوع المحادثة، وحسن التّخلص واختتام التخاطب.

٤- مقولة الجهة أو مبدأ الطريقة (الأسلوب) **Maxime de manière**: لا تهتمُّ كسائر القواعد بما هو مقول أو منطوق، بل بكيفية قوله أو النّطق به، قاعدتها العامة هي: كن واضحا، وعنها تتفرع القواعد:

-احترز من الغموض obseurity

-احترز من الالتباس ambiguity

- تحر الإيجاز

- تحر الترتيب

وتقوم هذه القواعد بترسيم ما يجب على المشاركين القيام به، لكي يتم التّخاطب والتواصل بالطريقة المثلى(تعاون، عقلانية، فعالية)، فإذا ما تم خرق إحدى القواعد الأربع، حصلت ظاهرة الاستلزام الحواري ، واكتسب الحوار دلالات ضمنية إلى جانب معناه المباشر.

نقد مبدأ التعاون:

لعل من أبرز ما يلاحظ على ما قدّمه "بول غرايس" من مبادئ وحكم أنها تتداخل فيما بينها، وتتقاطع إحداها مع الأخرى، فمثلا يمكن أن نضع حدّا فاصلا بين أن تكون المشاركة ملائمة للمقام ومناسبة له، وبين أن تكون صادقة من جهة، وتتسم بالوضوح من جهة أخرى.

من أجل ذلك تم إعادة صيغة هذه المبادئ والحكم في شكل قوانين، تتدارك ما فيه من تداخل وتعارض ونقائص.

فنجد للباحثة "كاترين أوركيوني" طرحا جميلا [viii]مفاده وضع قوانين للخطاب مقسّمة إلى قوانين عامّة وقوانين أكثر خصوصية،ومنها مبدأ الملاءمة، وقانون الصدق، وقانون النزاهة،وقانون الإخبارية وقانون الإفادة، هذا الأخير يعدّ قطب الرحى أو المحور الذي تنتظم حوله باقي القوانين، حيث يتميّز بدقة وصحة تشمل كل ما في القوانين الأخرى وتتجاوزها.

كما نجد الباحثين "سبربر" و"ولسن" يريان أنّ قاعدة العلاقة يمكنها أن تنوب عن باقي القواعد والحكم، وبناء على ذلك اقترحا أن يتمّ تعويض جميع القواعد بها ، ثم إنّ الملاءمة[ix]. التي تحتويها وتطلبها كما يريان تحتاج إلى إعادة تحديد ؛ إذ هي تتجاوز كونها قاعدة مثل باقي القواعد إلى كونها مبدأ تقوم عليه العملية التواصليّة برمّتها، وهي بناء على هذا تتعلّق بالسياق وتتغيّر بتغيّره مما يجعل قيمتها تتحدّد في ضوء السياق التواصلي[x].

٢- مفهوم الدلالة الطبيعية وغير الطبيعية:

خلال دراسة بول غرايس للمعنى توصل إلى تقسيمه إلى معنى طبيعي(دلالة طبيعية)، ومعنى غير طبيعي(دلالة غير طبيعية) وجعل محور الفهم في الدلالة غير الطبيعية ارتباطها بمقاصد المتكلّم، وقد ميز بين الدلالتين انطلاقا من الفعل(to mean) الذي يدلّ في الأنجليزية على معنيين :"دلّ" و"قصد"، الأولى ترتبط بالدلالة الطبيعية والثانية تتعلق بغير الطبيعية كونها تحمل معنى والقصد معنى آخر مستلزم؛"فالدلالة الطبيعية تتعلّق بالظواهر التي ترتبط بعلامات تدلّ عليها، فهيّ علاقة سبب ونتيجة، مثال ذلك: رؤية الدخان تدلّ على وجود النار، ويقارن غرايس هذه الأمثلة بأمثلة أخرى من قبيل:

-إنّي أمشي مع سلحفاة، والمقصود أنك بطيء جدا، أسرع.

٣- كأنك تكتب بقدميك، والمعنى خطك رديء جدا وغير مفهوم." [xi]

ويمكن تقديم مثال توضيحي آخر من الحياة اليومية في صورة محاورة بين شخصين: "أ"، و"ب":[xii]

-أ: لم يبق لديّ في سارتي أيّ بنزين؟

-ب: توجد محطّة زين على بعد أمتار من هنا؟

نلحظ أنّ الاستلزام الحواري فكرة أطّرت المشهد الحاوري بين الشخصين "أ"، و"ب" حيث لم يكن هدف الشخص "أ" الإخبار بنفاذ ما لديه من بنزين، وإنما يستلزم حواره طلب المساعدة والسياق العام يوضح ذلك. وهو ما فهمه الشخص "ب" لذلك جاء خطابه ملتزما بالتعاون مع "أ" ، فأخبره بوجود محطة بنزين قريبة من مكان توقفه.

هكذا يتم الوصول للمعنى المستلزم، وهو معنى يرتبط بالجانب المقاصدي من المحاورة (المعنى)،

فالأمثلة الأخيرة تحمل دلالات غير طبيعية ترتبط مباشرة بقصد المتكلم وتتجاوز الدلالة الطبيعية، فحسب غرايس المتكلم حينما يتلفّظ بجملته فهو يبلّغ عن شيء ما ولكنه في الوقت نفسه يقصد شيئا آخر يحاول من خلال الدلالة غير الطبيعية التأثير به على المتلقي.

يقول بول غرايس:"حين نقول إنّ القائل قصد شيئا مّا، من خلال جملة معينة،فذلك يعني أنّ هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة ايقاع

التأثير في مخاطبه، بفضل فهم هذا المخاطب لنيّته"[xiii]

فتركيز غرايس على مسألة القصد وفكرته كانت لفتة مهمة منه ، كون القصد من خصائص الخطاب الطبيعي، ففي كل عملية تخاطبية، "يتمّ استحضار المقاصد حتى يكون التعاون بين المتحاورين، ويفهم كل منهما قصد الآخر

وعليه يمكن أن نستشف جملة من الملحوظات للتفرقة بين الدلالتين او المعنيين الطبيعي وغير الطبيعي كالآتي: [xiv]

- الدلالة غير الطبيعية تشمل دلالات أوسع من الدلالة اللغوية أو الاصطلاحية.

- الدلالة الطبيعية هي المعنى الذي تملكه الأشياء في الطبيعة فالدخان يدلّ على النار ، والسحب تدلّ على المطر.

-تسجد الدلالة الطبيعية كلماتنا وعباراتنا، وبعض أفعالنا وإيماءاتنا.

- الدلالة الطّبيعية مُلزمة فهيّ تلزم المتكلّم بحقيقة واقعة معيّنة، أما الدلالة غير الطبيعية فغير مُلزمة.

ويقترح "**غرايس**"**Grice** توصيفا خاصّا للعبارات اللغوية[xv]، قائما على مجموعة من التّقابلات، تنقسم على أساسها الحمولة الدّلالية للتراكيب إلى معان صريحة تدل عليها صيغة العبارة ذاتها، ومعان ضمنية لا تدلّ عليها صيغة الجملة.

وتشمل حمولة المعاني الصريحة، محتوى قضويا مكوّنا من مجموع معاني مفردات الجملة مضموما بعضها إلى بعض ضمن علاقة إسناد، وقوة إنجازية حرفية مؤشّرا لها بإحدى الصيغ (استفهام، أمر، نهي، نداء، إثبات، نفي،)

وأمّا المعاني الضمنية فصنفان: معان عرفية: يقصد بها الدّلالات المرتبطة بالجملة وهي لا تتغيّر بتغيّر السّياقات مثل معنى الاقتضاء، في حين يقصد بالمعاني الحوارية المعاني المتولّدة طبقا للسياقات التي تنجز فيها الجملة، نحو الدّلالات الاستلزامية ويمكن التّمثيل لذلك بالجملة: "ألا تراجع درس الرياضيات الصّعب؟

فـ**المعنى الصّريح** لهذه الجملة يتشكل من: [xvi]

أ- محتوى قضوي ناتج عن عملية ضم معاني الكلمات:مراجعة درس الرياضيات الصعب.

ب- قوة إنجازية حرفية: هي الاستفهام المؤشّر عليه بالهمزة، والتنغيم.

وأمّا **المعنى الضّمني** للجملة نفسها فيتألف من:

أ- معنيين عرفيّين هما: الاقتضاء(اقتضاء وجود مناسبة للمراجعة مثل الامتحان) والاستلزام المنطقي (يتمثل هنا في وجود دروس سهلة وأخرى صعبة).

ب- معنى استلزامي حواري: مؤوّل من خلال السّياق، وهوّ التّنبيه إلى ضرورة مراجعة الدّروس، وإنكار عدم فعل ذلك والتّغاضي عنها (المراجعة).

وقد دُرست هذه الظاهرة (الاستلزام الجواري)، بعد بول غرايس P.Grice ضمن نظرية الأفعال الكلامية، على أساس أنّ المحتوى القضوي للجمل، يواكب فعلا لغويا واحدا أو أكثر من فعل لغوي،[xvii] فإذا تجاوز المحتوى القضوي لجملة ما فعلا لغويا واحدا فإنّ لتلك الجملة فعلين لغويّين، أحدهما مباشر مدلول عليه حرفيا بصيغة الجملة ذاتها والآخر غير مباشر يستفاد من مقام ورود الجملة.

فإذا قال لي صديق:- لنذهب إلى السينما هذا المساء.

وأجبته قائلا: - عليّ أن أنجز بحثا جامعيا.

أكون قد أنجزت فعلين لغويين: الأول: فعل لغوي مباشر، هو الإخبار بكوني أنجز بحثا جامعيا، والثّاني فعل لغوي غير مباشر،ممثل في رفض دعوة صديقي بالتوجه إلى السينما مساء.

ولعلّ هذا يدخل في ما أشارت إليه الباحثة أوركيوني(C.K.Orecchioni) في الفصل الثاني الموسوم ب"أفعال الكلام غير المباشرة"، من كتابها"les actes de langage dans le discours"؛ إذ ترى أنّ المتكلّم(المرسل) حينما يعبّر بطريقة غير مباشرة يقوم بفعلين مختلفين: الأوّل هو إخبار المخاطَب(المرسل إليه) بواقعة ما، والآخر دفع المتلقّي للقيام بسلوك ما(عمل ما) مترتّب عن العمل الأوّل وقد مثّلت لذلك بأمثلة ثلاث منها:

يفتح الزّوج باب البيت ليخرج فتخاطبه الزّوجة قائلة:"سوف تمطر"، فيرجع الزّوج ويأخذ مظلّته معه[xviii].

فقول الزوجة:"**سوف تمطر**" يتضمّن معنى صريح ومعنى ضمني، أمّا <u>المعنى الصريح</u> فيتشكّل من:

- محتوى قضوي: ناتج عن ضم معاني الكلمات مع بعض "السماء سوف تمطر".

- قوة إنجازية حرفية: تتمثّل هنا في الإثبات ، إثبات معنى أنّ السّماء ستمطر.

وأما <u>المعنى الضّمني</u> للجملة "سوف تمطر" فيتألّف من:

- معنيين عرفيّين: هما الاقتضاء والاستلزام المنطقي، اقتضاء أنّ السّماء مغيّمة ومليئة بالسّحب، وهذا علامة دالّة على قرب نزول المطر، واستلزام احتمال سقوط المطر انطلاقا من وجود علامات دالّة عليه،(السحب والسّماء الملبّدة بالغيوم).

- معنى استلزامي حواري: يؤوّل من خلال السّياق، يتمثل في تنبيه الزّوج إلى ضرورة العودة وأخذ المظلّة.

فالاستلزام الحواري يقوم على خرق القاعدة أو الخروج عن المألوف بتجاوز القوة الإنجازية الحرفية إلى معنى ثان مقصود من الكلام ومستلزم من سياقاته يتم الانتقال إليه.

ويمثل لهذا الانتقال في الدّرس التداولي الغربي بالمثال:

"في شركتكم خنازير"

فسياق استعمال الكلمة" خنازير " لا يجعلها تدلّ على الحيوان المعروف بهذا الاسم، بل على جملة من السمات الدلالية التي ترتبط بها نحو(القذارة، والوضاعة، والنّجاسة)، ليكون القصد من التلفظ بها استعاريا، شتم بعض العاملين في شركة المتلقي وذمّهم، لعدة أسباب أهمها عدم وجود نظافة، وهنا لا يتم التعامل مع الجملة بمعاني مفرداتها الحرفية (المعجميّة) بل مع تحمله من سمات دلالية ومعان ثواني.(xix)

فالمتلفظ بالجملة "في شركتكم خنازير" استخدم بعض السّمات الدّلاليّة لكلمة "خنزير" (قذر+نجس+يعيش في الوحل)، ورأى أنّها تصلح لذمّ العاملين وشتمهم في شركة المخاطَب، فكان المعنى المستلزم من الجملة السّابقة هوّ فعل الشّتم والذّم للعاملين في الشّركة" أناس سيّئون يمارسون بعض الأفعال القبيحة".

ونجد الفكرة نفسها في التّحليل الذي يقترحه "سبربر" sberber و"ولسن" wilson للاستعارة حيث يريان« أنّ المخاطب المؤوّل لقول استعاري سيُحصّل عددا من الاستلزامات الصّادقة، فالطفل الذي نقول له:غرفتك زريبة خنازير" يستخلص من هذا القول الذي يعبّر عن قضية كاذبة استلزامات صادقة هي التّالية: غرفتك متّسخة وغرفتك غير مرتّبة، ويجب عليك أن ترتّب غرفتك وتنظّفها»(xx)

فالاستلزام الحواري من خلال هذه الأمثلة يتضمن معنى ثانٍ يفهم من سياق الاستعمال والقرائن المصاحبة له ويتم التوصل إليه عن طريق عمليات استدلالية عقلية تعتمد على كفاءة المتلقي، والمعرفة المشتركة بينه وبين المتلفظ بالكلام.

تطبيقات لفهم ظاهرة الاستلزام الحواري:

يمكن للتشبيه في البلاغة العربية أن يفيد دلالات مستلزمة تتّضح من خلال سياق الاستعمال؛ فحين يقول المتكلّم: **"زيد أسد"**

فهو يقصد معنى مستلزما، غير مباشر هو مدح زيد والإشادة بشجاعته من خلال تشبيه شجاعته بشجاعة الأسد، ويكون ذلك بعد أن يقوم برصد جملة من السّمات الدّلالية للمفردتين " زيد" و"أسد" في معجمه الذّهني، بادئا بـ"زيد" ليرى السمة التي تميّزه في سياق معيّن، ثم يبحث عن أكثر الكائنات التي تتميّز بهذه السمة فيشبّهه بها، ويهتدي المتلقي استنادا للسياق الاستعمالي للجملة ومقام الكلام،ومن خلال كفاءته التّداولية للمعنى المقصود بعد أن يسقط باقي السمات الدلالية التي لا تتناسب مع مقام الكلام(xxi).

فالتشبيه يمكن أن يسهم في إثراء الجانب الدّلالي والتّداولي للصياغة اللغوية من خلال عمليّة الخرق الدّلالي المولّدة لدلالات استلزامية تستفاد من التّفاعل الدّلالي بين أطراف التّشبيه من جهة، وبينها والسّياق الواردة فيه من جهة ثانية، ممّا يدخلها في صلب موضوعنا القوى الإنجازية المستلزمة.

مثال٢:

حينما نقول: "أمطرت السّماء نباتا"، لا يعقل أن تمطر السّماء نباتا وبالتّالي فإنّ استخدام كلمة النّبات، استعمال مجازي بلاغيا ، يتجاوز ما وضعت له الكلمة في الأصل، لكن يتّضح من السّياق، أنّ المقصود هو "الغيث" باعتباره سببا في وجود النّبات، وهو هنا من المجازات التي يتم فيها الانتقال من اللاّزم إلى الملزوم لكونه هنا لزوما اعتقاديا(ممّا يثبته اعتقاد المخاطب) فتّم الانتقال من اللاّزم،"أمطرت السّماء نباتا"، إلى الملزوم، "أمطرت السّماء غيثا"، وهو المعنى المستلزم على مستوى البنية العميقة للكلام.

ونضرب هنا أمثلة من القرآن الكريم، توضّح لنا طريقة الانتقال إلى المعنى المستلزم، وكيف يمكن للمتلقّي أن يستنبط المعنى المقصود من تفاعل الدّلالتين الوضعية والعقليّة، في ظلّ العلاقات التي تنشأ بينهما، بما يناسب المقام.

يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً﴾[xxii]، والمعنى ينزل لكم مطرا هو سبب الرّزق، ويقول أيضا: ﴿ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[xxiii]أي اتقوا وتجنّبوا العناد الذي يستلزم منكم الذهاب إلى النار. [xxiv]

ويقول أيضا: وقوله:﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ﴾[xxv]

تعليق:

نلحظ في التركيب: ينزّل لكم من السّماء رزقا، أنّ دلالة كلمة "رزقا" غير مستعملة في معناها الحقيقي وإلاّ فهي غير ملائمة للسّياق؛ إذ من غير المعقول أن يكون نزول الرّزق في صورته المعروفة من السّماء، لأنّ السّماء لا تمطر رزقا بل مطرا، يكون سببا في الرزق فتمّ إطلاق المُسبَّب وهو الرّزق، على السّبب فيه وهو الماء، لتأكيد أهمّية الماء النّازل من السَّماء حيث يشكّل مصدرا مهما لرزق الإنسان.

بمعنى أنّه يتم الانتقال من الدّلالة الأولى غير الملائمة للسّياق، إلى دلالة أخرى يستقيم معها المعنى "المطر"، ويحكم هذا الانتقال، علاقة تَجَاور ذهني بين المطر والرزق، فالمطر سبب للرزق. وبالتالي فالماء أو المطر هو المعنى المستلزم من الجملة من خلال السياق الذي وردت فيه كلمة .

ولعلّ من أمثلة الاستلزام الحواري في لغتنا العادية قول أحدهم للآخر: **كم عمرك.**

تحمل هذه العبارة اللغوية قوة إنجازية حرفية تتمثل في السؤال"كم" طلبا للعلم بشيء ذهن المتكلّم يجهله. فمحتوى الجملة القضوي معرفة السن الحقيقي للمستمع.

ويمكن أن نستلزم من العبارة نفسها معى إضافيا قد يكون هو المقصود حسب ظروف الكلام ومقاماته، نحو أن تكون الجملة توبيخا واستهزاء بإنسان مّا أساء التصرف على الرغم من سنّه الكبير.

وقد يكون المعنى لازلت صغيرا لتتحمّل أعباء أكبر منك، وقد يكون المعنى غير ذلك تماما، والمحدّد للمعنى الحقيقي هو سياق استعمال الجملة ومقامه.

ونجد أيضا في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً ﴾ [xxvi]. نلمس في هذا القول قوة إنجازية حرفيّة تتمثل في أنّ للولد شيخا كبيرا طاعنا في السنّ، فمحتواها القضوي الإخبار بكبر سن أبيه. وهي دلالة مباشرة غير ملائمة لسياق الحوار . كما نلمس في التركيب معنى مستلزما خفيا يتمثّل في استعطاف العزيز، ليسمح للولد بالعودة معهم ؛ فظاهر قول الإخوة الإقرار بأنّ أباهم شيخ كبير ، ولكنّهم يقصدون من وراء ذلك إلى تحريك مشاعر العزيز ودفعه بطريقة غير مباشرة إلى السماح للولد بالعودة

معهم فاستخدموا أسلوب الاستعطاف وطلب الرأفة بهم وبحال أبيهم. وهذا هو المعنى المضمر الذي نستلزمه من سياق القول.

خاتمة :

محصول الحديث هنا أن معاني الكلام لا تكون دائما بشكل صريح بل هناك مقامات وسياقات تستدعي عدم التصريح فيكون المعنى المقصود مضمّنا ويتمّ الاستدلال عليه من خلال تراكيب اللغة وسياقات التواصل .

الاستلزام الحواري مظهر بارز من مظاهر اللغة العادية في استعمالاتنا اليومية لها ، وقد عني به بول غرايس أيما عناية وبيّن آليات حدوثه وكيفيات الاستدلال على المعنى للوصول إليه، وفي سبيل ذلك حظي مبدأ القصدية بكبير عناية واهتمام لديه كون الدلالة غير الطبيعية ترتبط به لدلالته عمّا يدور في ذهن المتكلم مصدر الخطاب.

أسهم غرايس بتحليلاته لظاهرة الاستلزام في توجيه الدراسات اللغوية نحو العلوم الإدراكية حيث أدخل مفهومين مهمين على عملية فهم الجمل: **الحالة الذهنية** للمتحاورين (المقاصد أثناء التواصل)، والقدرة على **التأويل والاستدلال** على المعنى لمعرفة المقاصد. وهذا تحوّل بارز أسهم في تطوير الدراسات اللغوية وتوجيهها لفروع جديدة.

(i) يكمن الفرق بين الاستلزام والاقتضاء في كون الاقتضاء مفهوما منطقيا ، لا يتغيّر بتغيّر ظروف استعمال العبارة ، فيكون ملازما لها في جميع الحالات والأحوال ، بينما يعد الاستلزام مفهوما لسانيا تداوليا ، يتغير بتغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية. ينظر: (محمد السيدي: إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري ، مجلة فكر ونقد ، العدد:٢٥ ٢٠٠٠. (www.FIKRWANAKD.aljabriabed.net ، ٢٥,٠٧,٢٠٠٩ ، ١٥:٣٦). ومسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ، دار التنوير ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ص٤٥ ، ٤٦.

(ii) ينظر: آن روبول ، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص٥٤- ٥٦ ؛ ومحمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٣ ؛ ؛ علي محمود حجي الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، دراسة دلالية ومعجم سياقي مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠. ص٩.

(iii) طه عبد الرّحمان: اللسان والميزان(التكوثر العقلي) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩٨ ،١٠٣

(iv) أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ط١ ، ١٩٨٦. ص٩٣.

(v) طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البضاء ، المغرب.ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص ٧٣. وينظر: كاترين أوركيوني: المضمر ، ترجمة ريتا خاطر ، مراجعة :جوزيف شريم ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص٣٤٥.

(vi)عادل فاخوري: الاقتضاء في التّداول اللساني ، عالم الفكر(الألسنيّة) ، وزارة الإعلام ، الكويت ، المجلد٢٠ ، العدد٣ ، ١٩٨٩ ، ص١٤٦.

(vii)عادل فاخوري: الاقتضاء في التّداول اللساني ،نفسه ، ص١٤٧ ؛ وأحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري) ص٢٣ ؛ وينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية ص٣٣ ؛ وعبد القادر بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب ص١٢١ ، ١٢٢ ؛ وصلاح إسماعيل عبد الحق: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس ، ص٨٧.

(viii) ينظر: أوركيوني: المضمر ، ص٣٤٧.

(ix) الملاءمة عند الباحثين تتجاوز كونها قاعدة من قواعد مبدأ التعاون حيث جعلاها مبدأ يشكل أساس عملية التواصل ، وهي علاقة تقوم بين الأشخاص والخطاب ، وتتحدد قيمتها بحسب ارتباطها بالسياق ، وقد أضافا لها مفهوم الاستنتاج وجعلاه يقوم على مرتكزين: أ- استنتاج غير برهاني ينطلق فيه المؤول من المؤشرات المقدمة أمامه ويصوغ فرضيته ابناء عليها وهي فرضية يمكن تاكيدها دون البرهنة عليها.

ب- النسق التصوري: قوامه مجموعة من الرموز التي تتألّف بينها لتنتج قضايا معينة. ليلى كادة: محاضرات في التداوليات ، ص١٢٥ ، ١٢٦ ؛ وينظر: عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغيّر ، مقاربة تداوليةمعرفية ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، دط ، ٢٠٠٦ ،٤٦.

(x) ينظر: آن روبول ، جاك موشلر: التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل ، ص٨٢ ؛ وليلى كادة: محاضرات في التداولية دراسة في الأصول والأقسام والمحاور والإشكالات النظرية والتطبيقية ، منشورات المثقّف ، باتنة ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠١٨ ، ص١٢٤ ، ١٢٥. الملاءمة عند الباحثين تتجاوز كونها قاعدة من قواعد مبدأ التعاون حيث جعلاها مبدأ يشكل أساس عملية التواصل ، وهي علاقة تقوم بين الأشخاص

والخطاب ، وتتحدد قيمتها بحسب ارتباطها بالسياق ، وقد أضافا لها مفهوم الاستنتاج وجعلاه يقوم على مرتكزين: أ- استنتاج غير برهاني ينطلق فيه المؤول من المؤشرات المقدمة أمامه ويصوغ فرضيته ابناء عليها وهي فرضية يمكن تاكيدها دون البرهنة عليها.

ب- النسق التصوري: قوامه مجموعة من الرموز التي تتألّف بينها لتنتج قضايا معينة. ليلى كادة: محاضرات في التداوليات ، ص١٢٥ ، ١٢٦ ؛ وينظر: عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغيّر ، مقاربة تداوليةمعرفية ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، دط ، ٢٠٠٦ ، ٤٦.

(xi) ميرود سعاد : الاستلزام الحواري في سورة طه ، تحليل تداولي وفق نظرية غرايس ، مجلة المدونة ، مخبر الدراسات الأدبية واللغوية ، المجلّد الخامس ، العدد الأوّل ، ص ٣٢٠ ؛ وينظر: آن روبول ، جاك موشلر ، التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل ، ص٥٣.

(xii) جون ب براون ، جورج يول: تحليل الخطاب ، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي ، ومنير التريكي ، الرياض ، السعودية ، ١٩٩٧ ، ص٤١ ، ٤٢.

(xiii)آن روبول ، جاك موشلر: التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل ، ص٥٣.لفهم أكثر لظاهرة الاستلزام الحواري ننصح بالاطلاع على رسالة الدكتوراه للدكتورة ليلى كادة: المكون التداولي في النظرية اللغوية العربية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة باتنة ، ص١٠٠ وما بعدها.

(xiv) ليلى كادة: المكون التداولي في النظرية اللغوية العربية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة باتنة ، ص١٠٢ وما بعدها.

(xv) ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ص٦٤ ، وص٢٥ ؛ وأحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري) ، ص٢٥ ،٢٤. وباديس لهويمل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٤ ، ص٣٢

(xvi) ينظر: أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري) ، ص٢٤ ، ٢٥.

(xvii) ينظر: أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري) ، ص٢٤ ، ٢٥. وباديس لهويمل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي ، ص٣٢

(xviii) Catherine Kerbrat-Orecchioni, les actes de langage dans le discours,Nathan université, paris ,2001,p:33.

(xix) ينظر:علي محمود حجي الصّراف ،في البراغماتية الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة ، ص١٥٠ ، نقلا عن: willsson jhon: politically speaking, basil Black well, Oxford,UK,1990.P: 105.

(xx) آن روبول ، جاك موشلر: التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل ، ص١٩٢.

(xxi) ينظر: علي محمود حجي الصّراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، ص١٤٩.

(xxii) غافر:١٣.

(xxiii) البقرة:٢٤.

(xxiv) ينظر لمزيد من الشرح البلاغي للظاهرة السكاكي ،مفتاح العلوم ، ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠. ص ٤٧٤.

(xxv) النّساء: ١٠.

(xxvi) يوسف: ٧٨.